إشكالية مصطلح site)) الفرنسي وترجمته خطأ بموقع المواقع الأثرية - عوض المواضع - نموذجا

أ.د. مصطفى غطيس

تم هجر بعض المصطلحات في اللغة العربية، لها دلالة معينة ومتفق عليها بين كبار الجغرافيين العرب الأوائل الذين كانوا حريصين كل الحرص على دقّة المعاني، وتعويضها بأخرى لا ينطبق معناها بالضبط على الشيء الذي تسميه. فلقد اصطلح الشعراء (منذ العصر الجاهلي)، والجغرافيون وأهل اللغة، منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي (صاحب كتاب العين)، على إطلاق مصطلح موضع أو بقعة أو رقعة على مكان غير محدد، أو مكان بعينه، ولم يستعملوا مصطلح موقع ليؤدوا هذا المعنى إطلاقا، وإنما استعملوه، كما سنرى ذلك، لتوطين موضع ما في المجال الذي يحيط به. فأسماء المكان عامة، لم تُعرف في أمهات المعاجم والمصنفات الجغرافية كمواقع، بل هي مواضع؛ واقتصرت قواميس اللغة العربية، كالقاموس المحيط مثلا، على اسم موضع دون غيره واختزلته للدلالة على المكان.

فالمجالات التي تمتد فوقها الأشكال الجغرافية والبلدان والمدن والكور والقرى والمعالم الأثرية... عُرفت في المصنفات الجغرافية العربية كمواضع. وما اصطُلح على تسميته شرق العالم العربي وغربه بمواقع أثرية، هي في الواقع مواضع أثرية؛ وهذا الخطأ ناتج عن ترجمة عبارة (site archéologique) الفرنسية بموقع أثري عوض موضع أثري. ولتوضيح ذلك، سنبين في مرحلة أولى معنى site)) في قواميس اللغة والمعاجم الجغرافية الفرنسية، ثم سنرى أن دلالة هذا المصطلح الفرنسي توافق في لغة الضاد مصطلح موضع كما يتجلى مفهومه بوضوح من خلال كتب اللغة والجغرافية العربية.

أولا : مصطلحا موضع وموقع في بعض قواميس اللغة، والمعاجم الجغرافية الفرنسية :

١- (site) و (situation) في قواميس اللغة الفرنسية :

إن الفرق في قواميس اللغات الأجنبية – التي تفرعت عن اللاتينية – بين الموضع والموقع واضح، وهو في معاجمها الجغرافية أوضح وأبْين. فلقد عُرِّف مصطلح (site١) في قاموس :

CNRTL (Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales)

الفرنسي تعريفا أقترح ترجمتُه إلى اللغة العربية كالتالي :

«موضع : المكان أو الأرض التي تمتد فوقها مدينة أو قرية أو محطة، أو بناء أثري، أو المجال الذي تم فيه مد طريق؛ وهو أيضا الكيفية التي يرتسم بها الشكل الجغرافي في المكان الذي يوجد فيه، بالنسبة لمحيطه المباشر. ويمكننا الحديث في هذا الصدد عن : موضع صناعي، أو حضري؛ وموضع قعر الوادي؛ وموضع السفح المشمس؛ وجمال الموضع [...].

في ميدان علم الآثار : الموضع الأثري أو التاريخي، هو المكان الذي تمت فيه تنقيبات أثرية».

وعُرِّف المصطلح نفسه في قاموس :

LE GRAND ROBERT DE LA LANGUE FRANCAISE، ٢٠١٢

تعريفاً أقترح ترجمتُه إلى اللغة العربية كالتالي : «اشتقت كلمة site الفرنسية من situs٣ اللاتينية. وتعني شكل المكان، ومعالم الأرض التي توجد فوقها مدينة ما،[...].

موضع مدينة محصنة. موضع مدينة ليون (Lyon)[الفرنسية]، عند اقتران نهر الرون (le Rhône) بنهر السون (la Saône)[...]. احترام الموضع عند البناء أو عند تهييئ منطقة ما [...]. ولقد اشتق من كلمة site الفرنسية مصطلح جديد، وهو La sitologie٤ (المواضعية) التي تعني بدراسة المواضع وبالطرق المثلى للحفاظ عليها خلال إنجاز تصميم التمدين [...]».

٢- site) و (situation) في المعاجم الجغرافية الفرنسية :

عرّف Gérard HUGONIE٥ مصطلح (site) تعريفاً أقترح ترجمته كالتالي : «مكان أو مجال ذو مساحة صغيرة (بضعة هيكتومترات أو كيلومترات) له خاصيات ومزايا يتفرد بها وتميزه عن الأماكن الأخرى، وهو ما يجعله يكتسي أهمية خاصة بالنسبة لمجتمع ما. ولا ينبغي الخلط بين موضع المكان (أي المجال الذي يمتد فوقه)، وموقعه، أي مكانه بالنسبة للأمكنة الأخرى وتيارات المبادلات».

أما الموقع (situation) فعرّفه Bernard ELISSALDE٦ تعريفاً أقترح ترجمته كالتالي: «الموقع في الخطاب الجغرافي هو توطين (localisation) مكان ما توطيناً نسبياً في المجال، أي بالنسبة للأماكن الأخرى التي من شأن خاصياتها الطبيعية أو البشرية أن تؤثر في مميزات هذا المكان. وموقع المكان (la situation) تحدده العلاقات التي تجمع هذا المكان بمحيطه القريب والبعيد؛ كما تحدده إحداثياته الجغرافية».

وجاء في موسوعة WIKIPEDIA٧ إن «الموضع يحدّد بغض النظر عن الأماكن المجاورة له، ويُقتصر في تحديده على خاصيات هذا المكان لا غير.

وغالبا ما يستعمل مصطلح موضع (site) في ميدان الأركيولوجيا والتاريخ، وهو ينعت مكانا في غاية الأهمية.

والموقع مفهوم يتعلق بالمجال المحيط بمكان ما [...]».

وعُرّف مصطلحsite)) في قاموس التمدين وتهيئة المجال٨ الفرنسي تعريفاً أقترح ترجمته إلى اللغة العربية كالتالي :

« موضع : المعنى العام لكلمة "موضع" هو مكان. غير أن هذه الكلمة لها مفاهيم أكثر دقة في عدة ميادين :

في الأركيولوجيا (علم الآثار) يميز موضع مكاناً مُحدداً حيث مكنت الحفريات من اكتشاف صناعات أو آثار؛

في الحيجغرافيا : يميز موضع مجالاً غابوياً صغيراً حيث تسود نفس الظروف المناخية والتُّرابية (édaphiques)؛

في جغرافية المدن : يميز موضع المكان الذي أُسست فوقه المدينة أو المكان الذي شهد توسعها، والذي وقع الاختيار عليه نظرا لميزاته الطبوغرافية التي كانت مناسبة، وقت التأسيس، للدفاع عن المدينة، ولعلاقاتها التجارية، ولتموينها بالماء والطعام، أو للقيادة. وحسب الحالات، فإن المواضع التي تم استغلالها عامة، هي تلك التي توجد فوق الرّوابي، والرِّعان الموجودة عند اقتران ضفاف نهرين على شكل زاوية حادة، والجزر، والمصطبات الغرينية [...]».

أما مصطلح (situation) فعُرف كالتالي : «موقع : هو الموقع الجغرافي لمدينة بالنسبة للجهة التي توجد فيها. والمواقع السائدة بالنسبة للمدن هي :

- ملتقيات الأنهار، فباريز مثلا تقع في قلب سهل شاسع خصب (الحوض الباريزي)، على منعطف لنهر السين (la Seine)، بين اقتران هذا النهر بنهري لا مارن (la Marne) ولواز (l'Oise)[...].
- منطقة اتصال بين جهتين طبيعيتين أو اقتصاديتين، فمدينة فيين (Vienne) الفرنسية مثلا، تقع في منطقة اتصال جبال الألب (les Alpes) بالسهل.
- الواجهات البحرية (الموانئ)، ويستحسن قرب مصبات (الأخوار، والدلتات) الأنهار، التي تمكن من المواصلات مع الجوف٩ (لندن، ومرسيليا[...])»١٠.

وجاء في تحديد معنى الموضع والموقع في كتاب الجغرافية البشرية١١ الفرنسي ما أقترح ترجمته كالآتي :

«(كلمتا site) "موضع" و (situation) "موقع" غير مترادفتين. فالموقع هو مكان المدينة بالنسبة للمجموعات الكبرى (الجهات، أو الطرق) [...]. وهكذا فموقع باريز يحدده اقتران الأنهار [فهي تقع بين اقتران نهر السين (la Seine) بنهري لا مارن (la Marne) ولواز (l'Oise)]، والقرب من خور السين (la)، والطريق البرية شمال – جنوب، [...]. والموضع هو التراب الذي أسست فوقه المدينة، والمكان المحدد الذي يمتد فوقه المجال المبني، [...]. فموضع باريز هو أولا الموضع الدفاعي الذي تجسده جزيرة لاسيتي (la Cité)، ثم الهضبات المنخفضة، والمصطبات الفيضية، والمستنقعات، وحزام من الهضاب أكثر ارتفاعا [...]. ثم إن نموذج باريز يبين لنا من جهة ثانية أنه علينا التمييز بين موضع المدينة الأصلي، وموضع امتدادها. فموضع باريز الأصلي هو جزيرة لاسيتي (la Cité)، وموضع امتدادها هو مجموع المصطبات، والمستنقعات، والأكمات، والأودية التي تمتد فوقها اليوم المجموعة الحضرية. وفي غالب الأحوال، فإن موضع امتداد مدينة ما لا يوافق موضعها الأصلي الذي اختاره مؤسسها [...].»

والموضع بمفهومه المحلي المحدود، يخالف عادة الموقع الذي يحدد العلاقات

مع المحيط القريب والبعيد؛ فموقع مدينة بوردو (Bordeaux) الفرنسية مثلا، هو جوف خوْر لا جيروند (la Gironde)، ولكن موضعها هو الضفة المقعرة لنهر الغارون (la Garonne)، ومصطبة فيضيَّة.

أما الموقع فهو خاصية جغرافية أساسية لمكان أو مجال، ناتجة عن علاقة هذا المكان أو المجال بالأمكنة أو المجالات الأخرى. ويتم تحليل الموقع بالنظر للمحيط المحلي، والجهوي، والعام؛ هذا المحيط العام الذي قد يكون العالم بأسره. فالقاعدة العسكرية الأمريكية دييغو غارسيا (Diego Garcia) مثلا تقع في جزيرة توجد في أرخبيل شاغوس (Chagos)، وسط المحيط الهندي، لمراقبة تحركات الأساطيل في منظور الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية.

وتحليل الموقع أساسي للوقوف على مزايا مكان ما. فتحديد موقع المكان يتم دائما بالنسبة لأماكن أخرى، ولطرق المواصلات، وللجيران [...]١٢.

وينبغي التمييز كذلك بين الموقع الجغرافي (la situation géographique)، والموضع الإحداثياتي بمفهوم (la position)، الذي يُحدَّد بفضل إحداثياته الجغرافية. فالموضع الإحداثياتي مفهوم مطلق ووحيد. أما مفهوم الموقع، فهو دائما نسبي (بالنسبة للمحيط في كل مظاهره)، وقد يكون مشتركا، وهو كذلك مرتبط بالتاريخ، لأنه يتغير عبر الزمن، بالرغم من كون الموضع (l'emplacement) لا يتغير؛ لكن هذا التغير يتم على المدى الطويل نسبياً، ذلك المدى الذي يتغير خلاله المجال١٣.

فموقع حصن تمودة مثلا لما تم اكتشافه – شمال المغرب – سنة ١٩٢٠، يختلف عما هو عليه اليوم. فالموضع الأثري كان يقع حين اكتشافه على بُعد خمسة كلم جنوب غرب تطوان. وهو اليوم، بَعد امتداد المجال الحضري للمدينة، جزء من "المنطقة الحضرية تطوان الأزهر".

ويُعرَّف الموضع حسب (Pierre GEORGE ١٤)، كالإطار الطبوغرافي الذي تجذرت فيه المدينة، على الأقل زمن تأسيسها.

ويعني موضع المدينة في قاموس الجغرافية١٥ الفرنسي، المكان الذي وقع الاختيار عليه زمن تأسيسها، وذلك بالنسبة للأهداف التي دفعت إلى بنائها : الدفاع، التجارة، الإدارة، مراقبة ممر، إلخ. وتتحكم في اختيار الموضع أهمية العناصر الطبوغرافية المحلية : أكمة، رعن، منعطف نهر، مستنقع، جزيرة، التقاء نهرين، جون، مخاضة، فج... مثال : تلال روما السبعة (العصر الروماني)، جزيرة لا سيتي (la Cité)، بالنسبة لباريز (العصر الوسيط)...

ولقد وُفّق بعض أصحاب المعاجم لمصطلحات الجغرافيا العرب، وهم قلة، في ترجمة مصطلحي (site) و (situation) الفرنسيين إلى لغة الضاد ترجمة صحيحة، فاختاروا للأول مصطلح موضع، وللثاني مصطلح موقع؛ وترجموا (site historique) بموضع تاريخي (المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا، ١٩٩٤؛ ١٠٨، ٥٦، ٧١). وفي هذا السياق، أقترح أن يترجم (site archéologique) بموضع أركيولوجي أو أثري، عوض "موقع أثري"، حتى نكتب ونقول صوابا؛ وهذه لعمري الغاية القصوى من هذه الدراسة.

ثانيا : مصطلح موضع في القواميس وبعض المصادر "الجغرافية" العربية :

١- القواميس العربية :

عُرّف هذا المصطلح في لسان العرب (مادة: وضع) كالآتي : «[...] والمواضِعُ : معروفة، واحدها مَوْضِعٌ، واسم المكان المَوْضِعُ والموضَعُ، بالفتح؛ الأخير نادر [...]». وفي الصّحّاح في اللغة (مادة: وضع) :«[...] المَوْضِعُ: المكان. [...] والمَوْضَعُ بفتح الضاد، لغة في المَوْضِع». وفي مختار الصحاح للرازي (مادة: وضع): «[...] (المَوْضِعُ) المَكَانُ وَالمَصْدَرُ أَيْضًا. [...] (وَالمَوْضَعُ) بِفَتْحِ الضَّادِ لُغَةٌ فِي (المَوْضِعِ)». وفي تاج العروس (مادة: وضع): «[...] والّذي يَقْتَضِيه نَصُّ الصِّحاحِ: أنَّ المَوْضَعَ، بالفَتْحِ، لغَةٌ فِي المَوْضِعِ بالكَسْرِ، فِي مَعْنَى اسْمِ المَكَانِ، وقالَ: سَمِعَها الفَرّاءُ، وَفِي اللِّسانِ: المَواضِعُ مَعْرُوفَةٌ، واحِدُها مَوْضِعٌ بالفَتْحِ، وَاسم المَكَانِ المَوضع والمَوْضَعُ بِالْفَتْحِ الْأَخير نادِرٌ، [...]». وفي محيط المحيط لبطرس البستاني (مادة: وضع): «[...] الموضع والوضع مصدران ومكان الوضع، جمعه مواضع. وعند الحكماء مرادف للمكان. وعند الصرفيين اسم الظرف مكانا».

ونود التأكيد على أن الفيروزابادى كان قد اقتصر في تعريفه لأسماء المكان في القاموس المحيط على مصطلحات ثلاثة لا رابع لها : «مَوْضِعٌ، وَبَلَدٌ، وَقَرْيَةٌ»؛ وذكر في ديباجته أنه اختزلها على التوالي في حروف : ع، د، ة، للدلالة على ما وُضعت

له١٦. فإذا رجعنا على سبيل المثال إلى مادة "وضع" في ترتيب القاموس المحيط للزاوي، فإننا سنقرأ : «[...] وموضوعٌ، ودارةُ موضوعٍ، ودارةُ المواضيعِ، ولِوَى الوضيعةِ : مواضعُ»؛ وهكذا دواليك كلما تعلق الأمر باسم مكان ورد ذكره في هذا القاموس.

فالموضع في اللغة العربية اسم المكان ومرادف للمكان. ولقد اقتصر صاحب القاموس المحيط، - وهو «من أصحّ ما ألف في اللغة العربية نقلا، وأدقها وضعاً، وأوسعها مادة١٧»- على اسم موضع دون غيره واختزله للدلالة على المكان.

ومن الجلي أن العرب استعملت قبل ظهور أولى مصنفاتها اللغوية والجغرافية مصطلح موضع، ووردت أسماء المواضع ومواقعها في الشعر الجاهلي، ثم فيما رُوِي عن بعض الأعراب الفصحاء الرواة المتقدمين المعتمدين في الشأن اللغوي، كعرّام بن الأصبغ السُّلمي١٨ الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وكان خبيراً في مواضع بلاد العرب.

وكلما تحدث الجغرافيون العرب عن مكان ما، إلا وعرّفوه بموضع، ولم يسموه موقعاً كما نقرأ اليوم. فالمجالات التي تمتد فوقها البلدان والبليدات والكور والمدن والقرى... هي مواضع وليست مواقع في المصنفات الجغرافية الأصيلة. وقد يحمل الموضع اسما يختلف عن اسم القرية أو المدينة التي تمتد فوقه، كما سنرى ذلك في صدر هذه الدراسة (نموذج أفيق والقسطنطينية). ثم إن هذه المصنفات التي رجعنا إليها ومحّصناها تمحيصاً، تذكر المواضع ثم تحدد أحيانا مواقعها، وبالتالي فمدلول الموضع يختلف تماماً في أذهان أصحابها عن مدلول الموقع. وهل يمكن للمرء أن ينطق بتحديد "موقع الموقع" (محل موقع الموضع)، أو "المواقع المجهولة الموقع" (محل المواضع المجهولة الموقع) دون أن يُستثقل تعبيره هذا ويُستهجن١٩ ؟ ! فلقد استثقلت العربُ قديما الضَمَّةَ في حروف، فكسروا ميمها وأصلها الضمُّ، كما استثقلت حاءٌ قبلها حرف ساكن، والتشديد على الواو... وهذه لعمري أصوات استثقلتها العرب بالسماع ليس إلا، فهجرتها، فما بالك إذا كانت الكلمة تستعمل في غير محلها. أما آن للناطقين بلغة الضاد الرجوع إلى الأصل وإطلاق مصطلح موضع على ما يسمونه غلطاً بموقع، وخاصة بالنسبة للمواضع الأثرية التي يسمونها بمواقع، وهو خطأ قديم ناتج، كما رأينا، عن ترجمة عبارة (site archéologique) الفرنسية بموقع أثري.

٢- دلالة "موضع" في المصنفات الجغرافية العربية :

لقد اقتصرنا في هذه الدراسة على ثلاثة مؤلفين، وهم المسعودي والمقدسي من القرن العاشر، والبكري من القرن الحادي عشر. ولم يكن اختيارنا لهؤلاء الثلاثة وليد الصدفة، فمن المعلوم أن الأدب الجغرافي العربي بلغ أوجه في مجال تطوره الخلّاق خلال عصر المسعودي، أكثر الكتاب الجغرافيين أصالة في القرن العاشر، وهو القرن الذي تشكلت خلاله المدرسة الكلاسيكية للجغرافية العربية (تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ١٧٧).

ففي حديثه عن ذكر الأسماء واختلافها، قال صاحب أحسن التقاسيم إن الموضع مرادف للبقعة، وهو يستعمل أيضا مصطلحاً آخر مرادفا لهما وهو "الرقعة" التي قد تكون صغيرة، أو متوسطة، أو واسعة٢٠. وهذه من الأشياء التي يختلف فيها أهل الأقاليم، على حد تعبير المقدسي٢١. والبُقْعةُ في القاموس هي : «قِطْعة من الأَرض على غير هيئة التي بجَنبها، والجمع بُقَع وبِقاع٢٢».

والمجالات التي تمتد فوقها البلدان والكور والقرى هي مواضع (وليست مواقع). وقد تتفق أسماء بعضها، وتتباين مواضعها. فطبرك مثلا : موضع بالري وبأصبهان٢٣، والزرقاء قرية في طريق الرّي، وموضع في طريق دمشق٢٤...

أ- مصطلح موضع للدلالة على مجال جغرافي بعينه (مجال مدينة أو قرية أو بلد...) :

قد يكون الموضع في مؤلف المقدسي مدينة كمكة وبغداد وإيلياء وشيراز... وبعض هذه المدن قد تكون دار المملكة وموضع الدواوين كبخارا (أحسن التقاسيم، ٢٧٠)...

وتطرق المسعودي٢٥ إلى أسماء المواضع التي بنيت فوقها بعض المدن، كالقسطنطينية التي بناها قسطنطين على الخليج الآخذ من بحر مايطس، في الموضع المعروف بطابلا من صقع بوزنطيا، لعلمه بالموضع وحصانته (التنبيه والإشراف، ١٢٢). وهذه الأمكنة الحصينة يسميها البكري بـ «المواضع الممتنعة٢٦».

كما أورد المسعودي الكيفية التي تم بها وقوع اختيار المعتصم على موضع سامرا في بلاد كورة الطيرهان، وكان قد همّ قبل ذلك أن يبني المدينة في موضع قصر

كان للرشيد في ناحية القاطول. ثم ذكر أن موضع قصر المعتصم، كان ديراً للنصارى وأراضي؛ وأن نزول عتبة بن غزوان موضع البصرة كان في سنة ١٤ (التنبيه والإشراف، ٣٠٩-٣١٠). ويحدثنا المقدسي عن اختطاط هذه المدينة التي أمر عُمر بن الخطاب ببنائها، وكيف تم الاتفاق على موضعها ونزول العرب به (أحسن التقاسيم، ١١٧). وكان عبد المسيح بن بقيلة الغساني قد دل سعد بن أبي وقاص على موضع الكوفة (التنبيه والإشراف، ٣٠٩-٣١٠). وقد يكون الموضع موضع مدينة ليس لها أثر، كإرم ذات العماد (أحسن التقاسيم، ٦٧؛ ٨٧). أو ربضاً من أرباض المدينة (نفسه، ١٠١)، أو جزءا من مجال حضري بعينه، كميناء الإسكندرية الذي هو «الموضع الّذي ترسو فيه مراكب البحر» (التنبيه والإشراف، ٤٣).

وقد يكون موضع قرية كأَفيق، القرية الشامية المنتصبة على موضع يقال له الأقحوانة (معجم ما استعجم، ١٧٨)، أو موضع قريات لوط، (على فرسخ من حبرى) (أحسن التقاسيم، ١٧٣). أو بلداً كاليمن الذي يُعرّفه المقدسي بموضع واسع (نفسه، ٨٨). أو مسجدا كالمسجد الأقصى (نفسه، ١٨٣) الذي كان يتم الدخول إليه من ثلاثة عشر موضعاً (نفسه، ١٧٠)، وموضع البيت الحرام : بكّة، (ومكّة: ما حواليه) (معجم ما استعجم، ٢٦٩)، وموضع مسجد الرسول بالمدينة (أحسن التقاسيم، ٨٠)، أو موضع جامع دمشق (نفسه، ١٤٧)، أو الجامع السّفلاني بالفسطاط «لأنه أجل موضع بمصر» (نفسه، ١٩٨-١٩٩، الهامش p من المخطوط C)، أو مجموعة من المساجد، كالتّنعيم، حول مسجد عائشة (نفسه، ٧٧)، أو موضع مرقد إبراهيم في المسجد الذي بناه أبو بكر الصباحيّ (نفسه، ١٧٣)، أو مشهداً (نفسه، ١٨٤)، أو طلسماً (نفسه، ٤٤٤)، أو موضع كنيسة، كذلك الذي صعد منه عيسى (نفسه، ١٧٢).

وقد يكون أيضا موضع وقعة، كمعركة بدر (نفسه، ٨٢-٨٣)، وموضع معسكر، كمعسكر مصعب بن الزبير (مسكِن بالعراق) (معجم ما استعجم، ١١٥)، وموضع دار الخليفة، وموضع دار الأمير (مدينة السلام) (أحسن التقاسيم، ١٢٠)، وموضع قد نضد فيه موتى الكفار بعض على بعض (بتنّيس) (نفسه، ٢٠١)... ولا يسمي المقدسي المواضع التي يذكرها عندما تكون جزءاً من مجال معين. ففي فُرضة تنّيس مثلا، تحمل المنسوجات إلى دار فتشدّ، ثم موضع آخر فتجعل في سفط، ثم موضع آخر فتحزم (نفسه، ٢١٣، الهامش g من المخطوط C). وفي الجامع الأموي بدمشق موضع يفتح كلّ سنة فيمتلئ الجامع ماء نحو ذراع فيغسل حيطانه وأرضه، ثم يفتح موضع آخر فيناسب إليه الماء كلّه (نفسه، ١٥٩، الهامش d من المخطوط C). ولمّا ظهر قبر دانيال، جُعل في تابوت، فكان يُحمل الى المواضع يُستسقى به (نفسه، ٤١٧). وأيّام الجمع يجتمع شيعة شيراز في غير موضع (نفسه، ٤٣٩)... ولقد استعمل كتاب بعض سلاطين المغرب مصطلح "مواضع" للدلالة على أماكن معينة، تخص في هذه الوثيقة الأراضي التي لم تكن تشملها سلطة الدولة. فهذا نص جواز سفر مغربي سُلم لآرثر ليرد A) (Leared. يقول :

«الحمد لله وحده - ولا حول ولا قوة إلا بالله (الخاتم السلطاني الخاص بمولاي الحسن) أذنا لحامله الطبيب الإنجليزي [آرثر ليرد] في الجولان في إيالتنا المحروسة بالله والاقتصار على القبائل التي تنالها الأحكام من غير أن يورط نفسه في المواضع التي لا تنالها الأحكام، فنامر من يقف عليه من عملائنا وقبائل طاعتنا السعيدة أن يقابله بالجميل والمراعات [هكذا] حتى لا يصله مكروه من أحد والسلام. في ١٢ جمادى الثانية ١٢٩٤ ه (الموافق ٢٥ يونيه ١٨٧٧ م)٢٧».

ب- مصطلح موضع للدلالة على مجال طبيعي بعينه (الجبال، ومنابع الأنهار، والجزر...) :

استُعمل المصطلح نفسه للدلالة على مجال طبيعي بعينه، كالموضع الّذي أنزلت فيه التوراة على موسى بطور سينا (التنبيه والإشراف، ١٣١). وطور سينا هذا، حسب المقدسي، هو الموضع الذي خرج فيه موسى وبنو إسرائيل (أحسن التقاسيم، ٢٠٩). أو موضع اجتماع دجلة والفرات (التنبيه والإشراف، ٣٨)، أو منبع «مخرج» دجلة من عيون بناحية آمد، من الموضع المعروف بحصن ذي القرنين، وكذا منبع «مخرج» الزاب الأصغر، من الموضع المعروف بدينور، ومخرج نهر النهروان ثم اجتماعه وانتهاؤه إلى الموضع المعروف بباصلوى (نفسه، ٤٧-٤٨)... وأورد المسعودي ما ذكره الجاحظ٢٨ في كتابه الأخبار عن الأمصار وعجائب البلدان أن مخرج مهران السند والنيل من موضع واحد (التنبيه والإشراف، ٤٩)، وإذا صار نهر طرسوس إلى الموضع المعروف بالقطالية صب إليه نهر يعرف بالفاتر(نفسه، ٥٢)،

وموضع مغيض زرنروذ، نهر أصبهان (نفسه، ٦٤-٦٥). وذكر المقدسي موضع مجمع النهرين (أحسن التقاسيم، ٣٠٤)، وموضعاً ذا مشاجر (نفسه، ٣٢٢، تتمة الهامش g من المخطوط C)، وموضع الصيد (نفسه، ٢٨٣)، ومواضع اجتماع السفن في الأنهار ككارشنان في الأهواز (نفسه، ٤١٢). وزار المسعودي (الرحالة) المواضع المشهورة بكثرة الزلازل، وبعض البلاد التي هلك فيها خلق كثير من الناس وصار موضعها آجاماً ومياهاً سوداً منتنة، وتلك التي تغور الأعين فيها وتفور (التنبيه والإشراف، ٤٤-٤٥). وقد يكون الموضع جزيرة كصقلية (أحسن التقاسيم، ١٨٣)، أو فوهة بركان هذه الجزيرة التي يسميها المقدسي بموضع الدخان (نفسه، ٢٤١)، أو أمكنة بعينها في البحر، كموضع فاران شمال البحر الأحمر مثلا، حيث يفترق لسانان (خليجا العقبة والسويس). ومواضع الخوف في هذا البحر جبيلان: موضع غرق فرعون، ثم فاران وهو موضع تهبّ فيه الرياح من مصر والشام فتتحاذيان، ثم جابر، وهو موضع سوء يرى فيه قعر البحر، شأنه في ذلك شأن الخشبات التي تنسب إلى البصرة، وهي الطامّة الكبرى لرقّة تلك المواضع (نفسه، ١١-١٢). ومغاوص اللّؤلؤ في البحر هي كذلك مواضع كمغاص تُؤام بالبحرين (معجم ما استعجم، ٣٢٣).

ج - مصطلح موضع للدلالة على مجال جغرافي غير محدد (في البر والبحر) :

في حديث المسعودي عن المواضع التي لا يتأتى فيها الحرث، ذكر «مواضع الجبال والآكام والتلول والآجام والسباخ ومدارس الطرق والمحاج ومجاري الأنهار ومواضع المدن والقرى وغير ذلك من المواضع [...]» (التنبيه والإشراف، ٣٥). وأشار صاحب (التنبيه والإشراف، ٢٧-٢٨) إلى بطلميوس القلوذي الذي رسم للناس في كتابه المترجم بـ مسكون الأرض صورة معمور الأرض وما فيها من مواضع الكور والبحار والأنهار في الطول والعرض... واستعمل المسعودي مصطلح موضع ومواضع أيضا للدلالة على مجال جغرافي غير محدد لما تحدث، على سبيل المثال، عن تملك مقسيميانوس على الشام ومما يلي بلاد الجزيرة ومواضع من أرض الروم (نفسه، ١١٧-١١٨). وأنه قد يكون في بعض المواضع مقدار شهر من الصيف نهار كله، لا ليل فيه. وشهر من الشتاء ليل، لا نهار فيه (نفسه، ١٩٢). وكان المقدسي٢٩ قد استعمل أيضا مصطلح موضع ومواضع للدلالة على مجال جغرافي غير محدد في البر، لما تحدث، على سبيل المثال، عن مواضع الأخطار في المفازات، ومواضع الضيق والجدب (أحسن التقاسيم، ٢)، ومواضع المياه في البادية (نفسه، ٢٥٥)، ومواضع المسلمين من ممالك الكفار (نفسه، ٩)، ومواضع وأقاليم الأعاجم (نفسه، ٣٦، هامش p، نسخة C). أو مكان غير محدد في البحر، كموضع في بحر سيراف تخرج من قعره عين ماؤها عذب (نفسه، ٤٤٥).

د- خاصيات المواضع من حيث ألوانها، وطبيعة تربتها، ومناخها... :

يتميز البكري عن سابقيه : المسعودي والمقدسي بكونه أكثر دقة في حديثه عن المواضع ووصفها. وهذا ليس بغريب لأن مصنفه كان إحياء للمنهج القديم في المعاجم الجغرافية الذي يرجع إلى القرن التاسع، وهي المعاجم التي وضعها اللغويون. ومعجمه، حسب كراتشكوفسكي، (تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٢٧٦؛ ٢٧٨)، ليس كتابا في الجغرافيا بقدر ما هو كتاب لغوي. فهو أكثر دقة من حيث وصفه لمواقع المواضع التي ذكرها في معجمه مستعملا صيغاً شتى كقِبل مكان ما، «آنقة بالقاف، على وزن فاعلة من الأَنَق : موضع قِبل البقيع» (معجم ما استعجم، ٩٤)؛ أو في شِقّ كذا، كـ «الأَباريات، على وزن فُعاليات : موضع في شِقّ ديار بنى أسد» (نفسه)؛ أو تلقاء كذا، كـ «أَثْلة: موضع، ... وأظنّها تلقاء مصر» (نفسه، ١٠٨)؛ أو بظهر كذا، كأَنْقَرَة: «موضع بظهر الكوفة...» (نفسه، ٢٠٣). وقد يكون الموضع من الثغور كأَذَنَة : «موضع من ثغور الشام» (نفسه، ١٣٣)...

وتحدث البكري، وهو «أكبر جغرافي أخرجته الأندلس قاطبة» (تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٢٧٤). عن موضع الهضاب (معجم ما استعجم، ٣٦)، والهضيبات (نفسه، ١١٤)، وبيّن أحيانا ألوانها، فهي حمر (نفسه)، أو صفر (نفسه، ١٦٢)؛ بعضها هضبة كبيرة كموضع أفاعية (نفسه، ١٧٤). كما كان البكري أكثر دقة في وصفه لطبيعة تربة المواضع التي أورد أسماءها في معجمه. فقد يتميز الموضع بغلظ أرضه وخشونتها كـ «ليث، آبار كثيرة عذبة، ليس لها مزارع، لغلظ٣٠ موضعها، وخشونته،»٣١، وقد يكون موضع رمل كالأَحْوران بديار كلب (معجم ما استعجم، ١٢٠). كما ربط بين

بعض المواضع وغطائها النباتي، فأحوس مثلا موضع نخل (نفسه)...

وتحدث المسعودي عن الخاصيات المناخية لبعض المواضع حيث يطيب الصيف ويفسد الشتاء فسادا يمتنع فيه من المكاسب المهنية والمطالب الصناعية لشدة بردها ودوام سقوط الثلج فيها. وأهوية هذه المواضع، حسب المسعودي، تختلف من حيث البخارات الباردة والحارة التي تنبعث من باطن الأرض (التنبيه والإشراف، ٣٨؛ ٤٠). وذكر المقدسي مواضع حارة، كتلك التي بإقليم أقور مثلا (أحسن التقاسيم، ١٤٢)، أو مواضع الحر، والمواضع التي بها جبالا وبلداناً باردة، كتلك التي بإقليم المغرب (نفسه، ٢٣٦). وكلما اشتد برد موضع في إقليم المشرق، اشتد حره (نفسه، ٣٢٢). ومواضع الحرّ بإقليم كرمان أكثر من مواضع البرد (نفسه، ٤٦٨، الهامش ٩)، وفي إقليم السّند مواضع معتدلة الهواء (نفسه، ٤٨١)، وفي طريق الري موضع شديد البرد في جميع السنة (نفسه، ٤٩٥)...

د- أوصاف المواضع ومزاياها :

قد يكون الموضع جليلاً كموضع المسجد الجامع ببلخ، موضع السماحة، التي يحدثنا المقدسي عن بهائها وحسن موقعها (أحسن التقاسيم، ٣٠٢)؛ أو حسناً (كمسقط)٣٢، أو نزيهاً (نفسه، ١٦٢؛ ٣٩١)، أو حسناً نزيهاً (كموضع عرفجا) (نفسه، ٢٥٣)، أو حسناً نزّهاً كموضع الجامع الفوقاني بمصر (نفسه، ١٩٩، الهامش d من المخطوط C)، أو طيباً (نفسه، ١٨٩، الهامش a من المخطوط C)، أو قصبة كالعباسية التي ينعتها المقدسي بموضع الريف والخصب (نفسه، ١٩٦)، أو موضع معدن (قُساس) (معجم ما استعجم، ٣٤٤)، أو موضع وحش (معدن النّقرة)، أو موضعاً منقطعاً عن العمارات (أحسن التقاسيم، ٢٨٥)، أو موضع خلوة (نفسه، ٢٠٩)، أو موضع سوء، أو موضعاً يستوحش فيه (نفسه، ٤٩٤، تتمة هامش S)، أو موضع الوباء كجرجان، أو موضع الأخطار كالرقّة (نفسه، ٣٣)، أو مأسدة (كبَواء) (معجم ما استعجم، ٢٨٢)، أو موضعاً قد خرب وقد كان عامراً حسناً آهلاً (كالقاع) (أحسن التقاسيم، ٢٥٣)، أو موضع خراب (الرّبذة) (نفسه، ١٠٨)، ومواضع قد خربت (كتلك التي بالعقبة) (نفسه، ٢٥٣)، أو أعمر موضع، كالجامع السفلاني والأسواق الملتفة عليه في مصر (نفسه، ١٩٩)، أو راس الطاق والجامع في المدينة عند القهندز بسمرقند (نفسه، ٢٧٩)...

ولبعض المواضع مزية على غيرها كبابل التي يحدثنا المسعودي عن فضل موضعها وجلالة صقعها، شأنها شأن موضع العراق الذي هو أشرف المواضع، والموضع الّذي ينقسم فيه الزمان أربعة أقسام. وهذا الصقع الّذي مدينة السلام منه هو، حسب المسعودي، أفضل مواضع الأرض جميعاً (التنبيه والإشراف، ٣٢-٣٣؛ ٣٧).

وذكر المقدسي بعض المواضع مستعملا أيضاً أسماء التفضيل كأفسح موضع، وأحسن موضع (أحسن التقاسيم، ٤٣١، تتمة الهامش i)، وأعمر موضع، وأجلّ موضع (نفسه، ٤٨٣، والهامش ١٦)... كما ذكر مواضع لا يؤبه بها (نفسه، ٤٨٨).

وبعض المواضع تم تغيير اسمها كموضع نخلة، الذي أصبح معروفاً في زمن المسعودي ببستان بن عامر، على جادة العراق (نفسه، ٢٠٣). وزعموا - ولعل هذا من التراث الأسطوري في الجغرافيا - أن بعض المدن قد يتم تغيير موضعها كعبّادان التي أورد المقدسي بخصوصها حديثا للرسول (وهو لا ريب من غريب الحديث) يقول : «من أدرك منكم عبّادان فليرابط بها فإنها طينة من طين بيت المقدس حملها الطوفان أيام نوح وستعود الى موضعها يوم القيامة»! (نفسه، ١١٨، الهامش O).

وللفرق المهنية مواضعها كالهرّاسين٣٣ والورّاقين٣٤ والمكّاسين (نفسه، ٢٩٢، الهامش C) والقصّارين٣٥...

و- اختلاف مساحاتها :

يورد المقدسي طول بعض المواضع وموقعها (نفسه، ٢٨٩)، أما مساحاتها فإنها تختلف في نص المقدسي اختلافاً كبيراً، فقد تكون صغيرة جداً كموضع الوقيد الأخضر الذي ينبعث نهاراً من دويبّة تسمى ماثة (نفسه، ٣٩٧)، أو صغيرة كفرضة غَزنين بخراسان التي هي «صغيرة في الاسم والموضع [والرقعة (في مخطوط C)]٣٦». وقد تكون هذه المساحة عبارة عن مساحة حائط، كالحطيم الذي يقع شمال الكعبة (نفسه، ٧٤-٧٥)، أو الشاذروان وهو حائط قد بني من الحجارة (في الأهواز) (نفسه، ٤١١، الهامش ١٣). وقد تكون المواضع ضيقة (نفسه، ٢٨٨)، أو مواضع متقاربة (نفسه، ٢٩٣).

وذكر المسعودي كذلك مجالات محددة صغيرة، كموضع الحجر الأسود (التنبيه والإشراف، ١٩٧)، أو موضع صنم (باغ) (نفسه، ٣١٢)، أو

مواضع بعض القبور (علي بن أبي طالب و معاوية) (نفسه، ٢٥٧؛ ٢٦١)...

وقد تمتد مساحة الموضع على مسيرة سنة، وهي مساحة موضع المسلمين بالنسبة لمسيرة الدنيا التي حددها عبد الله بن عمرو في خمسمائة سنة، أربعمائة سنة خراب ومائة عمران (أحسن التقاسيم، ٦٢).

وأورد المسعودي مسافة أعرض موضع في البحر الرومي، وهي أربعمائة ميل (التنبيه والإشراف، ٥٠)، وذكر الموضع المعروف بالمنذب وهو أضيق أعبار [معابر] البحر الفاصل بين ساحل الحبشة الى ساحل اليمن (نفسه، ٢٢٦).

خاتمة :

ليس الموضع بموقع، ولا الموقع بموضع. وإذا كان لكل موضع جغرافي موقعه، فلا موضع للموقع، كما لا يمكننا الحديث عن موقع الموقع (الأثري).

فلقد رأينا أن الفرق في القواميس ومعاجم المصطلحات الجغرافية الفرنسية بين الموضع والموقع واضح، وهي لا تخلط بين موضع المكان وموقعه. فالموضع بمفهومه المحلي المحدود، يُحدَد بغض النظر عن الأماكن المجاورة له، ويُقتصر في تحديده على خاصيات هذا المكان لا غير؛ وهو المكان أو الأرض التي تمتد فوقها مدينة أو قرية أو معالم أثرية... وهو غير مرادف للموقع. أما الموقع فهو توطين مكان ما توطيناً نسبياً في المجال، أي بالنسبة للأماكن الأخرى التي من شأن خاصياتها الطبيعية أو البشرية أن تؤثر في مميزات هذا المكان؛ ويحدد العلاقات مع محيط الموضع القريب والبعيد. ومفهوم الموقع نسبي، وهو كذلك مرتبط بالتاريخ، لأنه يتغير عبر الزمن، بالرغم من كون الموضع لا يتغير.

فالمجالات التي تمتد فوقها البلدان والبليدات والكور والمدن والقرى، كما رأينا، هي مواضع وليست مواقع في مصنفات المسعودي والمقدسي والبكري، وكذا في أمهات قواميس اللغة العربية. والمواضع في هذه المؤلفات هي إما مجالات جغرافية طبيعية أو بشرية غير محددة، أو مجالات بعينها، تُذكر مواقع بعضها، وكذا طولها وعرضها ومساحتها ومميزاتها. وهي مرادفة للرُّقع والبُقع، ولكن ليس للمواقع.

كما تحدث الجغرافيون العرب عن الخاصيات المناخية للمواضع من حيث حرارتها وبرودتها واعتدال هوائها؛ وذكروا بعض المواضع مستعملين أسماء التفضيل كأفسح موضع، وأحسن موضع، وأعمر موضع، وأجلّ موضع... وقد يكون الموضع ربضاً من أرباض المدينة، أو جزءاً من مجال حضري بعينه.

وكل المؤلفات اللغوية والجغرافية التي رجعنا إليها تذكر المواضع ثم تحدد أحياناً مواقعها، وبالتالي فمدلول الموضع يختلف تماماً في أذهان أصحابها عن مدلول الموقع، هذا المصطلح الذي لم يعد يستعمل في محله، وخاصة عند الحديث عن "المواقع الأثرية" التي هي في الواقع مواضع لها مواقع جغرافية معينة، بيد أنها ليست بمواقع.

القواميس والمعاجم العربية :

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١.
- ترتيب القاموس المحيط، للطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ط ٣، ١٩٨٠.
- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠.
- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادى، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ٨ أجزاء.
- لسان العرب المحيط، لابن منظور، بيروت، دار الجيل ودار لسان العرب، ١٩٨٨.
- محيط المحيط، لبطرس البستاني، مكتبة لبنان.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٩.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥.
- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، للبكري، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، ، ط ٣، ١٤٠٣ ه.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، ١٩٧٩.
- المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا (إنجليزي – فرنسي – عربي). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سلسلة المعاجم الموحدة، رقم : ٩، تونس ١٩٩٤.

المصادر والمراجع العربية :

- بن جلون (عبد المجيد) ، جولات في مغرب أمس (١٨٧٢)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ١٩٧٥.
- عرّام بن الأصبغ السُّلمي، كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى...، نوادر المخطوطات، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، المجموعة الثامنة، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٤.
- كراتشكوفسكي (أغناطيوس يوليانوفتش) ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣.
- المسعودي، التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨.
- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، بريل، ١٨٧٧.

المراجع باللغة الفرنسية :

- CNRTL (Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales) ; http://www.cnrtl.fr
- LE GRAND ROBERT DE LA LANGUE FRANCAISE. ٢٠٠١.
- BAILLY (A. et al.). Les concepts de la géographie humaine. Paris. Armand Colin. ٤è éd.. ١٩٩٨.
- BRUNET (R.). FERRAS (R.). TH٣٧ERY (H.). Les Mots de la Géographie. Dictionnaire critique. ٣è éd. revue et augmentée. Montpellier–Paris. RECLUS–La Documentation Française. ١٩٩٣.
- DERRUAU (M.). Géographie humaine. Paris. Armand Colin. ٧è éd.. ١٩٩٩.
- GAFFIOT (F.). Dictionnaire Latin français. Paris. Hachette. ١٩٣٤.
- GEORGE (P.). Précis de géographie urbaine. ٤è éd. Paris. P. U. F.. ١٩٧٤.
- GEORGE (P.) (Sous la direction de). Dictionnaire de la géographie. ٥è éd.. Paris. P. U. F.. ١٩٩٣.
- MERLIN (P.). CHOAY (F.). Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement. Paris. P. U. F.. ١٩٨٨.
- http://www.hypergeo.eu/spip.php?article٣٦٦

الهوامش :

١ – B. — Configuration du lieu ou du terrain où s'élèvent une ville. un village. une station. un monument. où est construite une route; manière dont l'objet géographique s'inscrit dans le lieu qu'il occupe par rapport à son environnement immédiat. Site industriel. urbain; site de fond de vallée; beauté du site... ARCHÉOL. Site archéologique. Lieu où sont effectuées des fouilles.

٢ – Lat. situs. qui avait donné l'anc. Franç. site « emplacement. place » (déb. XIV). Configuration du lieu. du terrain où s'élève une ville. manière dont elle est située (considérée du point de vue de son utilisation par l'homme... Site d'une place de guerre. Le site de Lyon. au confluent du Rhône et de la Saône. Site urbain. Respecter le site. en construisant. en aménageant une zone (→sitologie)[...].

٣ – Voir : GAFFIOT (F.). Dictionnaire Latin français. Paris. Hachette. ١٩٣٤. p. ٢ »: ١٤٥٠ sĭtŭs. ¶ ١ position. situation [d'une ville. d'un camp. etc.]». Voir aussi Cicéron. Contre Verrès. Action II. livre V. ٢٦ ; De la République. livre II. III. (٥) ; César. Commentaires sur la Guerre des Gaules. Livre V. ٥٧ ; VII. ٨٣...

٤ – nf (urbanisme) étude des sites et des moyens de les conserver du mieux possible lors d'un plan d'urbanisme.

٥ – http://www.hypergeo.eu/spip.php?article٣٦٦

٦ – http://www.hypergeo.eu/spip.php?article٣

٧ – https://fr.wikipedia.org/wiki/Site#G.C٣.A٩ographie

٨ – MERLIN (P.), CHOAY (F.), Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, Paris, P. U. F., ١٩٨٨, p. ٦٢٢.

٩– ورد في لسان العرب أن جوف كل شيء داخله. ولقد استعمل الجاحظ هذه الكلمة للحديث عن المناطق الواقعة داخل البلاد، عندما قال: « وأنتم لم تروا من أهل لنجوية أحداً قطُّ، لا من السواحل ولا من أهل الجوف، ولو رأيتموهم نسيتم الجمال والكمال.»؛ انظر: رسائل الجاحظ، ج ١، "كتاب فخر السودان على البيضان"، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤، ص. ٢١٢.

١٠– MERLIN (P.), CHOAY (F.), op. cit., p. ٦٢٢.

١١– DERRUAU (M.), Géographie humaine, Paris, Armand Colin, ٧è éd., ١٩٩٩, p. ٣٧٤.

١٢ – BRUNET (R.), FERRAS (R.), THERY (H.), Les mots de la géographie. Dictionnaire critique, ٣è éd. revue et augmentée, Montpellier–Paris, RECLUS–La Documentation Française, ١٩٩٣, p. ٤٥٦ : site.

١٣ – Idem.

وانظر أيضا تعريف مصطلحاتsite)) و (situation) في كتاب "مفاهيم الجغرافية البشرية" الفرنسي :

BAILLY (A. et al.), Les concepts de la géographie humaine, Paris, Armand Colin, ٤è éd., ١٩٩٨, p. ١٢٥ : Site : c'est l'emplacement par rapport à la topographie de détail, un affleurement rocheux, un replat, l'île d'un fleuve, un élargissement de vallée. Situation : c'est l'emplacement par rapport aux grands traits de la topographie, les contacts de régions, les carrefours, les confluents, les estuaires.

وأقترح ترجمة المصطلحين إلى العربية كالتالي :«موضع : هو مكان محدد بالنسبة للطبوغرافيا التي تعني بالتفاصيل، كبروز صخري، وسطيحة (على منحدر واد)، وجزيرة نهرية، [...]. موقع : هو مكان محدد بالنسبة للمعالم الجغرافية الكبرى، كمناطق تماس الجهات، وملتقيات الطرق، ومناطق اقتران الأنهار ببعضها البعض، والأخوار».

١٤ – GEORGE (P.), Précis de géographie urbaine, ٤è éd., Paris, P. U. F, ١٩٧٤, p. ٤٤ : « Le site se définit comme le cadre topographique dans lequel s'est enracinée la ville, au moins à ses origines. [...] ».

١٥– GEORGE (P.) (Sous la direction de), Dictionnaire de la géographie, ٥è éd., Paris, P. U. F, ١٩٩٣, p. ٤٢٧ : Site (d'une ville) : Emplacement choisi au moment de la fondation d'une ville en fonction des objectifs ayant conduit à sa création : défense, commerce, administration, contrôle d'un passage, etc. D'où l'importance des éléments topographiques locaux : butte, éperon, boucle de méandre, marais, île, confluence, anse littorale, gué, col... Ex. : Les sept collines de Rome [...] (époque romaine) et l'Île de la Cité (époque médiévale)... ».

١٦– مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادى، كتاب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص. ٢٨: «(وَكُلٌّ كَلِمَة عَرَّيْتَهَا عَنِ الضَّبْطِ فَإِنَّهَا بِالْفَتْحِ، إِلَّا مَا اشْتُهِرَ بِخِلَافِهِ اشْتِهَارًا رَافِعًا لِلنِّزَاعِ مِنَ الْبَيْنِ)، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَأُقَيِّدُهُ بِصَرِيحِ الْكَلَامِ، غَيْرَ مُمْتَنِعٍ بِتَوْشِيحِ الْقِلَامِ [الأقلام]، مُكْتَفِيًا بِكِتَابَةِ: ع، د، ة، عَنْ قَوْلِي: مَوْضِعٌ، وَبَلَدٌ، وَقَرْيَةٌ، ...»؛ وانظر : الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج ١، ط ٣، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠، ديباجة القاموس بشرح العلامة الشيخ نصر الهوريني، ص. ٧؛ ٧١–٧٢.

١٧– الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج ١، ص. ٥.

١٨– صاحب كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى...، الذي اعتمد عليه صاحب معجم كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأورد ذكره في ٥٧ موضعا. ويعد كتاب عرّام هذا «وثيقة من أهم الوثائق البلدانية، وأما من أمهات المراجع الأصيلة»، انظر: نوادر المخطوطات، بتحقيق

عبد السلام محمد هارون، المجموعة الثامنة، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٤، ص. ٣٧٨. وعبد السلام محمد هارون الذي هو أحد أشهر محققي التراث العربي في القرن العشرين، يسمي فهرس الأماكن في الكتب التي حققها بـ "فهرس البلدان والمواضع والمياه"؛ انظر على سبيل المثال: مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، القسم الثاني، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص. ٦٣٩.

١٩- لقد أجاد صلاح الدين عثمان هاشم خلال ترجمته لكتاب أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣، حين ذكر الأماكن الجغرافية بصفتها مواضع وليس مواقع، انظر: ص. ٤٣: «... هذا القسم من القصيدة المعروف بالنسيب كثيرا ما ورد فيه ذكر لأكثر من موضع أو موضعين جغرافيين يمكن في أغلب الأحوال تحديد موقعها... وهكذا نبصر في بداية قصيدة واحدة عددا من أسماء المواضع... فها هو عبيد الأبرص... يتذكر المواضع التي هزم فيها أحد أمراء الغساسنة قبيلته فيقول... وحسان بن ثابت... يتذكر في أبيات له بعض المواضع التي أمضى فيها وقتا طيبا...»؛ ص. ٤٤ :«ذكر المواضع والأمكنة»؛ ص. ٤٤: «... وكثيرا ما يقدم... البكري وياقوت معلومات في غاية من الدقة لأنهم بذلوا مجهودا كبيرا في جمعها وتحقيقها وتجشموا السفر إلى مواضع نائية ليتحققوا بأنفسهم من مواقع المواضع التي ذكرها الشعراء...»؛ و ص. ٤٩؛ ٥٣؛ ٥٧...

٢٠- انظر ص. ١١-١٢ : "اختلاف مساحات المواضع"؛ والهامش : ٣٦.

٢١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص. ٣٠-٣١. وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي الأتابكي، ج ١، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص. ٣٤٠: «مدينة بغداد وبناؤها: [...] سار المنصور يطلب موضعا يتخذه بلدا فبات ليلة موضع القصر، [...] وكانت بقعة بغداد مزرعة تدعى المباركة لستين نفسا [...]».

٢٢- انظر: مادة بقع: (لسان العرب)؛ و (مقاييس اللغة): «قال الخليل: البُقْعة قِطعةٌ من الأرضِ على غير هيئةِ التي إلى جَنْبِها، وجمعها بِقاعٌ وبُقَعٌ».

٢٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص. ٢٤: «اعلم أن في الإسلام بلدانا وكورا وقرى تتفق أسماؤها وتتباين مواضعها ويشكل على الناس أمرها [...]»؛ وانظر: الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج ٣، مادة: «طَبْرَك: قلعة بالري. وقلعة بأصبهان».

٢٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص. ٢٦. وانظر على سبيل المثال معجم البلدان لياقوت الحموي : «آرة: في ثلاثة مواضع، آرة بالأندلس... وآرة: بلد بالبحرين، وآرة أيضا : قال عرّام بن الأصبغ: آرة جبل بالحجاز...».

٢٥- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨، ص. ١٢٠. ويعتبر كراتشكوفسكي أن هذا المصنف قد اكتسب عن جدارة حق الانضمام إلى "مكتبة الجغرافيين العرب" (Bibliotheca Geographorum Arabicorum)، انظر : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص. ١٨٢.

٢٦- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ ه، ص. ٥.

٢٧- عبد المجيد بن جلون، جولات في مغرب أمس (١٨٧٢)، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٧٥، ص. ١٥٨.

٢٨- استعمل الجاحظ، وهو من كبار علماء اللغة العربية وله اهتمام بالجغرافية، مصطلح موضع مرارا في مؤلفاته التي وصلتنا، انظر على سبيل المثال: رسائل الجاحظ، ج ١، ص. ٨٤؛ ١٣٩؛ ١٤٤-١٤٥...

٢٩- ويعتبره كراتشكوفسكي «آخر الممثلين الكبار للمدرسة الكلاسيكية للجغرافيا العربية وسلسلة الجغرافيين الكبار للقرن العاشر... وأكثر الجغرافيين العرب أصالة... ومصنفه واحدا من أكثر المصنفات الجغرافية في الأدب العربي قيمة». انظر : كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص. ٢٠٨؛ ٢١٥.

٣٠- غلظ (لسان العرب): «وأَرض غليظة: غير سَهلة، وقد غَلُظت غِلَظاً، وربما كني عن الغَليظ من الأَرض بالغلَظ. قال ابن سيده: فلا أَدري أَهو بمعنى الغَليظ أَم هو مصدر وصف به. والغَلْظُ الغَليظُ من الأَرض، رواه أَبو حنيفة عن النضر ورُدَّ ذلك عليه، وقيل إِنما هو الغِلَظُ، قالوا: ولم يكن النضر بثقة. والغَلْظُ من الأَرض: الصُّلْب من غير حجارة؛ عن كراع، فهو تأْكيد لقول أَبي حنيفة».

٣١- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ص. ١٠٠. وانظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص. ٤٢: «ومن نافلة القول أن نوكد غنى اللغة العربية القديمة في كل ما يتعلق بالتربة وأخص مميزاتها الباطنية،...».

٣٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص. ٩٣. وانظر على سبيل المثال ص. ٣٠٩: « ولهراة أعمال جليلة ومواضع حسنة يطول بذكرها الكتاب.».

٣٣- نفسه، ص. ١٢٩:« وللهرّاسين مواضع فوق دكاكينهم فيها الحصر والموائد والمري وخدام وطسوت وأباريق وأشنان».

٣٤- نفسه، ص. ١٥٨: «وفي هذه الأروقة [جامع دمشق] موضع الورّاقين».

٣٥- نفسه، ص. ٤٠٩: «وعند الجسر موضع نزيه به القصّارون [...]».

٣٦- نفسه، ص. ٣٠٣-٣٠٤. يستعمل المقدسي أحيانا مصطلح الرقعة محل الموضع، انظر على سبيل المثال ص. ٣٠٤: « بُسْت قصبة جليلة [...] موضوعة بين نهرين [...] إلا أنها وبيّة متطرفة صغيرة الرقعة [...]»؛ ص. ٢٧٥: «وميركي متوسطة الرقعة»؛ ٢٧٦: «بنكث هي قصبة الشاش واسعة الرقعة»؛ وانظر ص. ٢٧٧-٢٧٨؛ ٢٨٨-٢٩٠؛ ٢٩٥؛ ٣٠٨؛ ٣١٤؛ ٤٣٠. وفي لسان العرب: « والرُّقْعة قِطْعة من الأَرض تَلْتَزِق بأُخرى.».